

صبيغ التميمي وبواكير الجدل في صدر الإسلام

Sabigh al-Tamimi and the early controversy in Early Islam



عبد الحميد العابد

جامعة الوادي

labed-abdelhamid@univ-eloued.dz

علال بن عمر*

جامعة الوادي

benamor-allal@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2025/08/30 تاريخ القبول: 2025/11/22 تاريخ النشر: 2025/12/16



ملخص:

أثار صبيغ التميمي جملة من الأسئلة حول معاني بعضا من آيات القرآن الكريم وتعرض بسبب ذلك للعقوبة من طرف رأس السلطة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب. جاء هذا البحث المختصر لبحث في مصداقية الرواية من الناحية التاريخية وفي دلالاتها ومعانيها ربطا بسياق تلك المرحلة التأسيسية والحاسمة في تاريخ الاسلام والقبائل العربية واللحظة التي تحولت فيها دولة المدينة الى ما يشبه الامبراطورية. وربط بتاريخ القرآن والتفسير والتأويل الذي سيتحول لاحقا الى اداة في يد الخارجين على عثمان ثم المنشقين عن الامام علي وهم الخوارج، وبين ذلك وذاك حركة رفع المصاحف على أسنة الرماح ايام معركة صفين. وهي إشارات موجزة للكيفية التي وظف فيها القرآن في السياسة منذ تلك الفترة الباكرة.

* المؤلف المراسل

لم يكن غرض البحث الاجابة عن كل الأسئلة المشروعة بقدر فتح الباب لمزيد من التأمل في الظاهرة القرآنية وعلاقتها بتاريخ الاسلام والعرب ثم تاريخ كل المنطقة العربية والمسلمين فيما بعد.

الكلمات المفتاحية: ؛ علم الكلام؛ الظاهرة القرآنية؛ السلطة؛ التأويل؛ السياسة.

Abstract:

Ibn Sabigh raised a series of questions about the meanings of certain verses in the Holy Quran and was punished for this by the second caliph, Umar ibn al-Khattab.

This brief study examines the historical credibility of the narrative and its implications and meanings in the context of that formative and decisive period in the history of Islam and the Arab tribes, and the moment when the state of Medina transformed into something resembling an empire. It also examines the history of the Qur'an and its interpretation and exegesis, which would later become a tool in the hands of those who rebelled against Uthman and then split from Imam Ali, namely the Kharijites, and the raising of the Qur'an on spearheads during the Battle of Siffin.

These are brief references to how the Qur'an has been used in politics since that early period.

The purpose of the research was not to answer all legitimate questions, but rather to open the door to further reflection on the phenomenon of the Qur'an and its relationship to the history of Islam and the Arabs, and later to the history of the entire Arab region and Muslims.

key words: Theology ; The phenomenon of the Qur'an; Authority; interpretation; politics.

مقدمة

إن المصحف الشريف تم جمعه على عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ونسخت عنه مجموعة نسخ على عدد أمصار الإسلام وأرسل إلى كل مصر نسخة، وأن العملية تمت في سياق جدل دار بعيدا عن المدينة حول الآيات والسور، فأسرعت القيادة الإسلامية الى تثبيت النص قبل أن يتوسع الخلاف فيه، ثم أحرقت جل النسخ الأخرى التي كانت بأيدي بعض الصحابة، وكان من نتائج هذه العملية الموفقة حادثة رفع

المصاحف في معركة صفين التي توخت إنهاء القتال بين الطرفين المتصادين؛ حيث استخدم المصحف لأول مرة في عملية مواجهة تاريخية. لكن التعمق في مجريات أحداث تلك المرحلة التأسيسية يكشف عن سوابق في النقاش حول القرآن جرت في عهد عمر وكان بطلها رجلا عرف في المصادر بصبيغ واختلف الرواة في تحديد هويته واسمه ونسبه وربطته مصادر أخرى بالخوارج الذين ظهروا بعد مقتل عثمان.

ونظرا لأهمية القرآن بوصفه النص الذي أنتج الجماعة الإسلامية وأهمية تلك المرحلة المفصلية في تاريخ الإسلام ودور الانقسام السياسي الديني في صياغة ذلك التاريخ فقد جاء هذا البحث **بهدف** الكشف عن طبيعة هذه الشخصية وظرفها التاريخي وتسلط الضوء ما أمكن على ملابسات الموضوع وذلك من خلال فحص **الفرضيات** التالية:

- العلاقة العضوية بين نجاح حركة الفتوح عسكريا وتأثيرها في ظهور بوادر السخط على عملية توزيع عوائدها في أوساط فئات التحقت متأخرة بالجيش في جبهة الشرق خاصة.

- كانت قبيلة تميم من بين القبائل العربية الشمالية التي رفعت احتجاجها على تنامي سلطة قريش وسيادتها وإشرافها السياسي على الأمة الجديدة وكانت سؤالات صبيغ في القرآن أحد ملامح الاعتراض الذي سيتسع في عهد عثمان وينتهي بقتله، ويفضي الحدث برمته إلى إنتاج الخوارج ولا تخفى مساهمة التميميين في ذلك.

- حادثة صبيغ مع عمر بإمكانها أن تثري موضوع جمع المصحف الذي تم على عهد عثمان وتساعد في فهم أعمق لتلك العملية الهامة وظروفها وشروطها وسنعالج هذه الإشكالات وفق مقاربتين منهجيتين الأولى: تاريخية؛ تعتمد أساسا على البحث في تاريخ الذهنيات من خلال تحليل المادة المصدرية التاريخية خاصة تلك التي دونت في مرحلة صدر الإسلام الأول دون إغفال المصادر الأخرى خارج الحقل التاريخي؛

والثانية مقارنة مذهبية: ترصد بدايات وملامح ظهور الفرق والمذاهب الإسلامية منطلقة من أم المقالات الإسلامية وأسها " الجدل حول القرآن".

وقد تطرقنا إلى أربع عناصر رئيسية بمقدمة وخاتمة:

1- تمهيد حول الجدل لغة ومفهوما

2- صبيغ التميمي وسؤالاته في القرآن

3- علاقة صبيغ التميمي بالخوارج

4- علاقة الجدل بالتحويلات الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع العربي الإسلامي

وأهم المصادر التي وظفناها لمعالجة الموضوع المصادر التاريخية الأولى ومنها طبقات ابن سعد وتاريخ الطبري ودلائل النبوة للبيهقي وفضائل الصحابة للإمام النسائي ومثله للإمام أحمد بن حنبل، وفتوح ابن عبد الحكم إلى تاريخ دمشق لابن عساكر، وتليها المصنفات الحديثية كموطأ الإمام مالك والكتاب المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة والجامع الصحيح للإمام البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود وسنن الترمذي وسنن ابن ماجه ومسند أحمد بن حنبل والمستدرک للحاكم، نضيف إليها جامع البيان للقرطبي ومثله لابن عبد البر والإصابة لابن حجر العسقلاني .

1- تمهيد حول الجدل لغة ومفهوما

ورد في أثر منسوب الى النبي صلى الله عليه وسلم: مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدْلَ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ} [الزخرف: 58]¹. وجاء في لسان العرب في مادة الجدل ما يلي: الجَدْل: شِدَّةُ الْقَتْلِ. وَجَدَلْتُ الْحَبْلَ أَجْدِلُهُ جَدْلًا إِذَا شَدَدْتَ قَتْلَهُ وَقَتَلْتَهُ فَتَلًّا مُحْكَمًا؛ وَمِنْهُ قِيلَ لِرِمَامِ النَّاقَةِ الْجَدِيلِ. ابْنُ سَيِّدِهِ: جَدَلَ الشَّيْءُ يَجْدُلُهُ وَيَجْدِلُهُ جَدْلًا أَحْكَمَ قَتْلَهُ وَالْجَدْلُ: الصَّرْعُ. وَالْإِجْتِدَالُ: الْبُنْيَانُ، وَأَصْلُ الْجَدْلِ الْقَتْلُ، وَدَرَجَ جَدْلًا وَجَدُولَةً: مُحْكَمَةً النَّسْجِ الْجَدْلُ، وَهُوَ شِدَّةُ الْخُصُومَةِ وَالْمُجْدَلُ: الْجُمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ؛ قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ: أَرَاهُ، لِأَنَّ الْعَالِبَ

عَلَيْهِمْ إِذَا اجْتَمَعُوا أَنْ يَتَجَادَلُوا وَرَكِبَ جَدِيلَهُ رَأْيُهُ أَيْ عَزَمَتُهُ². ويلحظ في التعريفات التي قدمها ابن منظور للاستعمالات اللغوية للكلمة أنها تربط بين مجموعة من المعاني؛ كلها تصح في قصدنا بالجدل كما ظهر وتمت ممارسته في المجتمعات الإسلامية منذ عهد باكر. فأشارت إلى الشدة والإحكام والنسج والبنيان والخصومة وتجمع الناس والصراع، فليس الجدل سوى الخلاف ومن ثمة المناظرة أمام الناس باستخدام قوة الخطاب والحجة المنسوجة جيداً؛ أي الكلام المحكم البناء الذي يقصد به نصر رأي وهدم الرأي المخالف. فأصل الجدل إذن الاستنكار والمعارضة كما يتضمن الانفصال والمباينة.

اكتسب الجدل سمعته السيئة في الثقافة الإسلامية المتحفظة بوصفه يحيل إلى المعاني المذكورة آنفاً، ولا ندري متى تم ذلك على وجه التحديد، لكننا نرجح أنه حملها بتأثير الأحداث الأليمة التي عصفت بالأمة في صدرها الاول والتي نشأ الجدل أساساً في ثناياها واستخدم في صراعاتها، فارتبطت بممارسته بالشقاق والنزاع المفضي إلى الفرقة والانقسام، رغم أن الجدل ليس إلا كشفاً وتعبيراً عن حدوث كل ذلك وعلامة عليه، نشأ على قاعدة المطلب المشهور الذي صيغ في العبارة ذائعة الصيت: العدل في القضية والقسمة بالسوية. وقد سبقت في هذا الصدد أحاديث عن النبي تنهي عن الجدل وتحذر منه كحديث: { مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْتُوا الْجَدَلَ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ } { مَا ضَرُّوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ } [الزخرف: 58]³. وحديث: أنا زعيم بيت في رضى الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه⁴. ورويت أحاديث أخرى كانت واضحة في ربط الجدل المنهي عنه بالقرآن وبما أننا لا ندري مدى صحة نسبتها إلى النبي فنرجح أنها كلها أصداء بقيت كعلامات وإشارات عن الفترة الأولى التي احتدم فيها أهم خلاف في تاريخ الإسلام والذي بقي جرحاً في جسد الأمة لم يندمل، منها حديث: عن سعد، مولى عمرو بن العاص، قال: تشاجر رجلان في آية، فارتفعا إلى رسول الله صلى

الله عليه وسلم، قال: لا تماروا فيه فإن المراء فيه كفر. وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعوا المراء في القرآن، فإن الأمم قبلكم لم يلعنوا حتى اختلفوا في القرآن، فإن مراء في القرآن كفر⁵. فوضع النبي الجدل؛ المراء في محل النقيض مع الهدى والجنة. والتأمل في الأحاديث ومعاني الكلمة يحيلان إلى فهم الهدى بوصفه الاجتماع والاتفاق ووحدة الكلمة وذلك هو المعنى القرآني للجماعة والأمة والتوحيد، ولا يرد الشقاق إلا وهو مقرون بالكفر والشيطنة وقد ورد في القرآن وصف: بأسهم بينهم الذي يحيل إلى الخلاف الداخلي المفضي إلى القتال، تصدع الوحدة وانشطار الجماعة.

2- صبيغ التميمي وسؤالاته في القرآن

تربط الآثار التي حاولت رصد بدايات الجدل في تاريخ الإسلام بعهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب؛ أي بالفترة ذاتها التي تمت فيها الفتوح وتحققت الطفرة التاريخية للمجتمع العربي، ودارت حول شخص غامض اسمه صبيغ من بني يربوع من تميم، فيروي نافع مولى ابن عمر أن صبيغا العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر، فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب، فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه، قال: أين الرجل. قال: في الرحل، فقال عمر: أبصر أن يكون ذهب فتصيبك من العقوبة الموقعة، فأتاه به فقال له عمر: عمّ تسأل. فحدثه، فأرسل عمر إلى رطائب الجريد فضربه بها حتى ترك ظهره دبره، ثم تركه حتى برأ، ثم عاد له ثم تركه حتى برأ، ثم دعا به ليعود له، فقال صبيغ: يا أمير المؤمنين، إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا، وإن كنت تريد أن تداويني فقد والله برأت، فأذن له إلى أرضه، وكتب له إلى أبي موسى الأشعري: ألا يجالس أحد من المسلمين، فاشتد ذلك على الرجل، فكتب أبو موسى إلى عمر: إنه قد حسنت هيئته، فكتب عمر أن ائذن للناس في مجالسته⁶. كما ترد الحادثة في روايات متعددة منها ما روي عن أبي عثمان النهدي قال سأل رجل من بني يربوع أو من بني تميم عمر بن الخطاب عن الذاريات والمرسلات والنازعات، أو عن

بَعْضَهُنَّ فَقَالَ لَهُ عَمْرُ ضَعْ عَنْ رَأْسِكَ فَإِذَا لَهُ وَفَرَةٌ فَقَالَ عَمْرُ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ رَأَيْتَكَ مَحْلُوقًا لَضُرِبْتَ الَّذِي فِيهِ عَيْتَاكَ. ثُمَّ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ أَوْ قَالَ إِلَيْنَا أَنْ لَا تَجَالِسُوهُ فَلَوْ جَاءَ وَنَحْنُ مِائَةٌ لَتَفَرَّقْنَا. اسْمُ هَذَا الرَّجُلِ صَبِيعُ بْنُ عَسَلٍ، وَقِيلَ ابْنُ عَلِيمٍ وَقِيلَ ابْنُ شَرِيكِ التَّمِيمِيِّ⁷. وَكَانَ صَبِيعٌ هَذَا أَتَى عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ: خَبِّرْنِي عَنْ "الذَّارِيَاتِ دُزُورًا" فَقَالَ: افْحَصْ عَنْ رَأْسِكَ. فَإِذَا لَهُ ضَفِيرَتَانِ، فَقَالَ: لَوْ كَانَ مَحْلُوقًا مَا شَكَكْتُ فِيكَ. يَرِيدُ أَنَّهُ مِنَ الْخَوَارِجِ. ثُمَّ كَتَبَ إِلَى أَمِيرِ الْبَصْرَةِ أَنْ لَا يُكَلِّمُوهُ. فَلَمْ يَزَلْ بِشَرٍّ حَتَّى قُتِلَ فِي بَعْضِ الْفِتَنِ⁸. كَمَا رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: جَاءَ صَبِيعٌ التَّمِيمِيُّ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْبِرْنِي عَنْ {وَالذَّارِيَاتِ دُزُورًا} [الذاريات: 1] قَالَ «هِيَ الرِّيَاحُ»، وَلَوْلَا أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُهُ مَا قُلْتُهُ، قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْخَامِلَاتِ وَقُرِّأَ قَالَ: «هِيَ السَّحَابُ»، وَلَوْلَا أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُهُ مَا قُلْتُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ {فَالْمُفْسِسَاتِ أَمْرًا} [الذاريات: 4] قَالَ: «هِيَ الْمَلَايِكَةُ»، وَلَوْلَا أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُهُ مَا قُلْتُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ {فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا} [الذاريات: 3] قَالَ هِيَ: «السُّفُنُ» وَلَوْلَا أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُهُ مَا قُلْتُهُ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَضُرِبَ مِائَةً، وَجَعَلَهُ فِي بَيْتٍ، فَلَمَّا بَرَأَ عَادَ فَضَرَبَهُ مِائَةً أُخْرَى، وَحَمَلَهُ عَلَى قَتَبٍ وَبَعَثَ إِلَى أَبِي مُوسَى، وَقَالَ: امْنَعِ النَّاسَ عَنْ مَجَالَسَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى أَتَى أَبَا مُوسَى فَحَلَفَ لَهُ بِالْإِيمَانِ الْمَغْلَظَةِ مَا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ مِمَّا كَانَ يَجِدُ شَيْئًا، فَكَتَبَ فِي ذَلِكَ إِلَى عُمَرَ، فَكَتَبَ عُمَرُ: إِنْ كَانَ صَادِقًا فَمُرِ النَّاسَ يُجَالِسُوهُ⁹. وَقَدْ أَفْرَدَ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِهِ صَفْحَاتٍ وَافِرَةً عَنْ صَبِيعٍ تَكَادُ تَكُونُ تَكَرُّارًا لِمَا سَبَقَ ذَكَرَهُ عِدَا بَعْضِ الزِّيَادَاتِ فِيهَا، مِنْهَا رِوَايَةٌ تَرِدُ عَلَى لِسَانِ صَبِيعٍ ذَاتَهُ: قَالَ جِئْتُ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ زَمَانَ الْهَدَنَةِ وَعَلِيَّ غَدِيرَتَانِ غَدِيرَتَانِ وَقَلَنْسِيَّةً، فَقَالَ عَمْرُ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: يَخْرُجُ مِنَ الْمَشْرِقِ حَلْقَانِ الرَّؤُوسِ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ طَوْبَى لِمَنْ قَتَلُوهُ

وطوبى لمن قتلهم. ثم أمر أن لا أووى ولا أجالس. وعن يحيى بن معين قال صبيغ الذي ضربه عمر بن الخطاب وأمر أن لا يجالس؛ هو صبيغ بن شريك من بني عمرو بن يربوع¹⁰. وفي رواية عن الزهري عن أنس أن عمر بن الخطاب جلد صبيغ الكوفي في مسألة عن حرف من القرآن حتى اضطردت الدماء في ظهره¹¹. وفي رواية أخرى: أن رجلا قال لعمر إني مررت برجل يسأل عن تفسير مشكل القرآن فقال عمر: اللهم أمكني؛ منه فدخل الرجل على عمر يوما وهو لابس ثيابا وعمامة، وعمر يقرأ القرآن. فلما فرغ قام إليه الرجل فقال: يا أمير المؤمنين ما "الذاريات ذروا" فقام عمر فحسر عن ذراعيه وجعل يجلده، ثم قال: ألبسوه ثيابا واحملوه على قتب. وأبلغوا به حيه. ثم ليقيم خطيب فيقل: إن صبيغا طلب العلم وأخطأه، فلم يزل وضيعا في قومه بعد أن كان سيدا فيهم. ثم كتب إلى أهل البصرة أو إلينا: لا تجالسوه. قال فلو جئنا ونحن مائة لتفرقنا¹². وجاء في بعض أوصافه: وذكر أنه كان يحرق رأيه، وفد على معاوية ولم يزل بشر؛ يعني بعد جلد عمر حتى قتل في بعض الفتن¹³.

تبطن هذه النصوص أمورا عدة ترد كإشارات مجملة دون تفصيل، منها أن صبيغا كان ينتمي إلى العراق؛ البلد الذي يوصف بأنه مقر للفتنة، وأنه جعل يسأل في القرآن الكريم بما يوحي أن أسئلته لم تكن من باب التعلم وإنما من قبيل التشغيب وإثارة الخلاف، وأن استفهاماته اتخذت طابعا حركيا دؤوبا، وأن نشاطه اتجه إلى أجناد المسلمين، حيث استقر المقاتلة، ثم اتجه إلى مصر بما يشبه نشاطات الدعاة والمحرضين؛ ومن ثمة تم القبض عليه من طرف عمرو بن العاص وحمل إلى دار الخلافة. وكلها إجراءات ترفع نشاط الرجل إلى قضية أمن عام واستهداف استقرار الجماعة حتى استحق بها العقوبة. والغريب في القصة أنها نموذج سيتكرر في حركة ابن سبأ؛ الرجل الاشكالي الذي دار حوله نقاش كبير بين الباحثين العرب وغيرهم، كما تجعلنا نتذكر ذات الطريق التي ابتدأ بها التشغيب على عثمان إلى غاية مقتله والتي تتشارك فيها مجموعات من العراق؛ من الكوفة والبصرة،

وجامعات أخرى من مصر. وفي كل هذه القصص لا تكون الشام هدفا للمشاعبين. أما أسئلته في القرآن فتذكرنا بالقراء الذين سيرد ذكرهم كثيرا فيما سيأتي من أخبار الفتنة. فليس غريبا أن يجري ربط صبيغ بفرقة الخوارج للعلاقة المتينة التي ربطت بينهم وبين القرآن حتى عرفوا بالقراء، ولم يستطع خصومهم رد هذا الارتباط عنهم وذلك لما عرفوا به من المثابرة على قراءته والاحتجاج به. وقد سيق في هذا الصدد جملة من الأحاديث التي تنسب إلى النبي جاء في بعضها أنه قال: سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل، ويسئون الفعل، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، ثم لا يرجعون حتى يرتد على فوقه، هم شر الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله، وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم. قالوا: يا رسول الله، ما سيماهم. قال: التحليق¹⁴. وفي حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم مر برجل ساجد وهو منطلق إلى الصلاة، فلما قضى الصلاة ورجع إليه وهو ساجد، فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال: من يقتل هذا. فقام رجل، فحسر عن ذراعيه، واختلط سيفه وهزه، ثم قال: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، كيف أقتل رجلا ساجدا يشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد عبده ورسوله. ثم قال: من يقتل هذا. فقام رجل فقال: أنا، فحسر عن ذراعيه، واختلط سيفه حتى رعدت يده فقال: يا رسول الله كيف أقتل رجلا ساجدا يشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد عبده ورسوله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما والذي نفسي بيده لو قتلتموه لكان أول فتنة وآخرها¹⁵. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة. وفي جملها تلميح مبطن لقبيلة تميم بوصفها القبيلة التي تحتضن هذا النوع المتطرف من الرجال¹⁶. كما يلاحظ في تلك النصوص جملة من الارتباطات التي تشير إلى احتمالية أن تكون وضعت كدعاية لاحقة ضد الخوارج الذين انفصلوا عن جيش علي بعد التحكيم وواصلوا نشاطهم الثوري طوال العهد الأموي وما تلاه، خاصة وأن وضع بعض إلى جنب بعض

تجعلنا ننتبه إلى تماثل يتكرر في النصوص التي تنسب إلى النبي والنصوص الأخرى التي تعود لعهد عمر في أسماء وصفات الأشخاص الفاعلين فيها؛ ففي كليهما نلاحظ الحضور المحوري لعمر بن الخطاب، كما أن الجهة الملعونة في كليهما شخصية تميمية تنسب إلى قبيلة بني تميم؛ وهي القبيلة التي ضمت قادة واتباعا فاعلين في القضية الخارجية، أما المرء؛ الذي هو الجدل في القرآن؛ فقد تم نعته بالكفر بالقرآن لأنه يفضي إلى الضلالة. ثم في كليهما ترد الإشارة إلى الحكم المستوجب على هؤلاء الخارجين وهو القتل، وكأنما هي مستندات كانت تستخدم لأجل تبرير العنف المضاد الذي مورس ضد الخوارج، ولتحريض الناس عليهم، ورفع الاشتباه لدى قطاعات من الناس كانت تتورع عن الانخراط في القتل؛ خاصة القتل الذي يكون ضحيته أشخاصا مسلمين، وهذا الذي تضمنته الرواية التي تنسب إلى النبي والتي يأمر فيها بقتل الرجل المصلي، وتكون خاتمتها مخيبة للآمال لأن الرجل ينجو من الموت، وتعليقها الختامي أشبه بالسرديات الأسطورية التي تخيب في نهايتها جهود البطل لأنه اقترف خطأ بسيطاً أجهض جميع مساعيه: والذي نفسي بيده لو قتلتموه لكان أول فتنة وآخرها. هذه العبارة التي تتضمن وعدا بالسلام الاجتماعي صار خائبا، كأن حركة التاريخ كلها متوقفة على حياة أو موت ذلك الرجل المنسي في جزيرة العرب. دون الاجتهاد والصراحة في تفسير المسببات الموضوعية للفتنة؛ ومن ثمة تداركها بالإجراءات الصحيحة وأهمها العدل في القضية والقسمة بالسوية.

3- علاقة صبيغ التميمي بالخوارج

شخصية صبيغ شخصية غامضة يلفها الضباب تكاد تكون شخصية مصطنعة، لا تسعفنا النصوص في إعادة تركيبها لكن الذي تضمنته هذه الروايات كافيا في رصد الملامح العامة جدا للجدور التاريخية لنشأة الجدل في القرآن بخاصة، فقد انبثق من داخل المجتمع الإسلامي في الأمصار التي جاءت منها الجموع التي حاصرت عثمان ثم قتلته، فترد في تلك النصوص البصرة والكوفة ومصر، وكان محوره يدور حول المتشابه في القرآن؛

الذي سيأخذ فيما بعد صفة المشكل؛ يعني الغامض الملتبس الذي يتعارض مع نصوص أخرى، أو يكون معهود اللغة قاصرا في تأويله، الأمر الذي يجعلنا نفهم أن القرآن الذي جاء ليكون سببا جامعا وحافظا لوحدة الأمة أستخدم في هذه السياقات التاريخية ليكون سببا للفتنة داخلها؛ وذلك باستعمال المراء؛ الجدل، ولم تقصر الروايات في الانتباه إلى هذا الأمر فنسبت إلى النبي فيما رواه جُنْدُبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلُهُ: "اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفْتُمْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ فقوموا عنه"¹⁷. والأرضية التاريخية للمراء تدور حسب النصوص النبوية حول عرض الدنيا؛ قسمة الغنائم، بدعوى الاعتراض على ما يلاحظ جورا وظلما وعدم تسوية في توزيعها بين الناس؛ ما ندعوه الآن محاباة وأثرة. ما يجعلنا نميل إلى تأكيد اختراع هذه النصوص أو على الأقل استخدامها واشاعتها بغرض الضغط على القوى الاجتماعية المطالبة بمزيد من العدالة؛ خاصة منها تلك التي جنحت للعنف والثورة في استعادة ما تراه حقا لها. على حساب أحاديث أخرى سيستخدمها ذات المعارضة في دحض حجج خصومها.

إضافة إلى كل هذا نلاحظ في ذات النصوص السالفة ربطا قويا بين الخوارج؛ القراء ونقيصة المراء في القرآن وتجعل كلا من النبي وعمر يتنبؤون بظهور الخوارج ويحددون سلفا وموقفهم الرافض لدعائهم ويحذرون من فتنهم وتحديد بعض السمات الشخصية لقادتهم كحلاقة شعر الرأس التي لا نعرف مغزاها إلا من حيث هي علامة حركية على جماعة ما من الخوارج تميز بين أتباعهم ومخالفهم. وفي جميع الروايات المذكورة تتضمن تحذيرا من أسلوب معين في طلب المعرفة واستخدامها، فالعدل قيمة دينية رفيعة والمطالبة به جهاد مطلوب، لكن التميمي الذي لمز النبي في تلك الرواية لم يحسن الأدب مع النبي وأبدى فضاضة لا تتناسب ومقام النبوة، وفي الرواية عن صبيغ وصفه عمر بأنه طلب العلم فأخطأه رغم أن أسئلته تبدو مشروعة، اذ كيف يطالب الانسان بقراءة ما لا يفهمه، لكن السياق يطن اتهاما في النية من وراء تلك الأسئلة واشتبهاها في دوافعها، وهذا محل

الخطأ حسب ما يفهم منها. في هذا المستوى تصبح المعرفة التي منحها القرآن قيمة شريفة في الاسلام موضوعا للضبط والإدارة والرقابة، فعلى المعرفة في ظروف تاريخية خاصة أن تراقب ذاتها، وعليها أن تكون في خدمة السلم الاجتماعي، وعلى الدافع المعرفي أن لا يكون ساذجا فيميز بين المعرفة النافعة والمعرفة الضارة وسيصار فيما بعد الى وضع تمييز بين علوم نافعة وعلوم ضارة. ثم أخيرا الارتباط الذي حرصت قصة صبيغ على تأكيده بين الجدل في القرآن المفضي الى الخروج؛ المروق؛ الضلالة وبين خسارة المكانة الاجتماعية بين الناس؛ فصبيغ كان قبل أن يجلده عمر سيدا بين قومه فسقط الى الخمول والإهمال، وسيتكرر ربط السيادة بعد ذلك بموقف المسالمة والموادعة التي تتخذها الشخصية إزاء الحكام والسلاطين، وستتواتر فيما بعد المزاجية بين السيادة وبين الحكمة؛ بوصفها التريث وعدم التعجل واصطناع المواقف التي يستشف منها مراعاة المصلحة العامة للأمة ولو جاءت على حساب المصالح الشخصية او الفتوية او القبلية للشخصية ولقومها. ولعل أشهر نص ترد فيه لفظة السيادة هو الحديث المروي عن النبي بشأن الحسن بن علي: إن ابني هذا سيّد ولعل الله عز وجل أن يُصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين¹⁸.

ورد في ترجمة الحسن البصري: لما كانت الفتنة فتنة ابن الأشعث إذ قاتل الحجاج بن يوسف انطلق عقبة بن عبد الغافر وأبو الجوزاء وعبد الله بن غالب في نفر من نظرائهم فدخلوا على الحسن فقالوا: يا أبا سعيد ما تقول في قتال هذه الطاغية الذي سفك الدم الحرام وأخذ المال الحرام وترك الصلاة وفعل وفعل. قال: وذكروا من فعل الحجاج. قال: فقال الحسن: أرى أن لا تقاتلوه فإنها إن تكن عقوبة من الله فما أنتم برادي عقوبة الله بأسيافكم. وإن يكن بلاء « فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ » الأعراف: 87. قال: فخرجوا من عنده وهم يقولون: نطيع هذا العليج. قال: وهم قوم عرب. قالوا: وخرجوا مع ابن الأشعث. قال: فقتلوا جميعا. وحدثنا ابن عون قال: كان

مسلم بن يسار أرفع عند أهل البصرة من الحسن حتى خف مع ابن الأشعث وكف الحسن، فلم يزل أبو سعيد في علو منها بعد. وسقط الآخر¹⁹.

تجعلنا هذه الملاحظات السريعة نضع أصابعنا على الانشغال الاجتماعي العميق الذي صاحب البدايات الأولى لظهور الجدل بوصفه كلاما في سياسة توزيع الثروة وبيانات اعتراض واحتجاج على ما لوحظ ظلما وتقصيرا، وليس من المصادفة أن تكون لفظة احتجاج تستخدم في المناظرات كما تستخدم في نشاط المعارضة السياسية. ثم علاقة العلم الذي سيتطور فيما بعد وهو علم الكلام بكل هذه الأمور. وربط هذه الممارسة المعرفية بالفتنة وسوء الطوية.

إن القرآن الذي جاء كتاب هداية وتنوير وبشائر للمؤمنين وخطابا الهيا يحمل النعمة لمعتنقيه والندارة الشديدة لمناوئيه؛ هو السلطان الذي امتلكه النبي حيال ممارسات التكذيب والسخرية التي قابله بها مشركوا قريش وغيرها؛ للطابع الإعجازي الذي يمتلكه، والسطوة الكبيرة في خطابه، وتلاوته من وسائل القرى إلى الله، وهو الميراث التي تركه النبي بعد وفاته وحرص على التذكير بأهميته في خطبة الوداع: تركت فيكم ما لن تضلوا بعده، إن اعتصمتم به كتاب الله²⁰. والذي وصفته ذائقة العارفين بخبايا الخطاب: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر²¹. والذي يراد له أن يكون مظلة عاصمة لوحدة الجماعة ومسلكية الأفراد من الزيغ والضلال، أقحم في مشكلات السياسة وجرى إخضاعه لمقتضيات الصراع الناشئ على الدنيا. وتحول الى أداة فاعلة في إدارة تفاصيل النزاع. لقد انقلب الموقف من الخضوع التعبدية المتدبر للقرآن، إلى الاستخدام والاستعمال كما تستخدم الأسلحة. لقد تحول أداة في يد كل من تسول له نفسه الاحتجاج على أوضاع لا تعجبه يرى فيها انحرافا عن الحق.

4- علاقة الجدل بالتحولات الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع العربي الإسلامي

في خلافة عمر لم يكن قد تم جمع القرآن بعد في مدونة واحدة على شكل كتاب كما حدث فيما بعد؛ على الأقل من الناحية الرسمية، فلم تتجه عناية عمر الى جمع المصحف كاملاً، فكان القرآن متداولاً مشافهة بين الناس يحفظونه في صدورهم ويقرؤونه غيباً؛ وبالتالي لم يكن القرآن مجموعاً إلا في صدر من يحفظه، وكانوا قلة من الناس، لم يكن ثمة ما يدعو الى جمعه والتثبت منه ومما لدى الناس فيه؛ لانشغال الناس بالفتوح وتركيزهم فيما هم فيه في ميادين القتال وتنظيم الأمصار وغيرها، ولم يكن قد صار - بعد - اهتماماً نضالياً من طرف من استخدموه بهذه الصفة. وقد حفظت لنا كتب التراث نادر طريقة حول بعض القيادات الإسلامية التي كانت تخوض نزالاتها ضد المرتدين والكفار وكان بعضهم لا يحفظ من القرآن الا آيات معدودة.

كان السلام الاجتماعي الذي ضمنته العوائد المتدفقة على الفاتحين وحالة الرضا على ما يناله الناس منها هي الحال الغالبة بين العرب المسلمين؛ فلم يكن ثمة ما يدفع الى التنقيب في تفاصيل الارادات ووجوه الانفاق ومقادير ما يخرج من بيت المال ووجوه صرفه؛ الأمر الذي سيحدث في عهد عثمان؛ حتى تصير مخصصات أهل المدينة المالية ذاتها محل نقاش وجدل بينه وبين الناقمين عليه. ولم يقتصر تشديد عمر على من يتعاطى البحث في مشكلات القرآن فقط وإنما كان يشدد النكير على من يتعاطى رواية الأحاديث، ويكتب فيها الى عماله في الأمصار يتوعد من يبلغه عنه ذلك، ولم يسلم عبد الله بن مسعود الذي يعد من رجالات عمر المفضلين من درة عمر لما بلغه أنه يحدث عن النبي²². وقد التزم ابن مسعود فيما بعد بتعليمات عمر حتى عرف عنه اقالله من الرواية: قال عمرو بن ميمون: اختلفت إلى عبد الله بن مسعود سنة ما سمعته يحدث فيها عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا يقول فيها قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا أنه

حدث ذات يوم بحديث فجرى على لسانه قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعلاه الكرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته. ثم قال: إن شاء الله، إما فوق ذاك وإما قريب من ذاك وإما دون ذاك²³. والنص التالي يبين العلة التي من أجلها شدد عمر النكير في الروايات: عن قرظة بن كعب، قال: خرجنا فشيّعنا عمر، إلى صرار ثم دعا بماء فتوضأ ثم قال: «أتدرون لم خرجت معكم؟» قلنا: أردت أن تشيّعنا تكرمنا بذلك، قال: إن مع ذلك الحاجة خرجت لها، إنكم تأتون بلدة لأهلها دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تصدوهم بالأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا شريككم. قال قرظة: فما حدثت بعده حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم²⁴.

لقد شكل نهي عمر عن سرد الروايات حرجاً للمحدثين في العصور اللاحقة وكتب بعضهم في محاولة تبرير هذا الموقف يقول: ولكن عمر رضي الله عنه كان يرى أن يشتغل الناس أولاً بالقرآن، وأن يقلّوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير أحاديث العمل، وأن لا يروى للناس أحاديث الترخّص لئلا يتكلّوا عليها، ولا الأحاديث المشكّلة التي تعلو على أفهامهم، كما أنه كان يخاف على المكثّرين الخطأ في رواية الحديث إلى غير ذلك، ومن أجل ذلك كلّه نهى عمر الصحابة عن الإكثار من الرواية، وأغلظ لأبي هريرة القول وهدده بالنّفي، لأنه كان أكثر الصحابة رواية للأحاديث²⁵. وعن أبي هريرة أنه قال: لقد حدثتكم بأحاديث، لو حدثت بها زمن عمر لضربني عمر بالدرة²⁶. فلا يجوز أن يتوهم أن عمر رضي الله عنه يوصيهم بالإقلال من الشر، وهذا يدلّك أنه إنما أمرهم بذلك خوف مواجهة الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوف الاشتغال عن تدبر السنن والقرآن؛ لأن المكثّر لا تكاد تراه إلا غير متدبر ولا متفقه²⁷. كان عمر رجلاً عملياً ذا حس سياسي مرهف، وحساسية عالية للأمور التي تعبر عن المشكلات أو تفضي إلى المشكلات، وكان يستشعر في هذا النوع من الاهتمامات المعرفية الدوافع الخاطئة والخطيرة. ولم يكن يبطئ في استخدام العقاب في حق كل من يصدر عنه ما قد

يعرض وحدة الجماعة إلى الاهتزاز. فقد ضرب عمر سعد بن أبي وقاص بالدرّة على رأسه حين لم يقيم له، وقال له: إنك لم تهب الخلافة فأردت أن تعرف أن الخلافة لا تهابك²⁸، ولم يغير ذلك سعدًا ولا رآه عيبًا وكذلك ضربه لأبي بن كعب حين رآه يمشي وخلفه قوم فعلاه بالدرّة وقال: إن هذه مذلة للتابع وفتنة للمتبوع، ولم يطعن أبي بذلك على عمر²⁹.

إن المساس بالنص كان يرتبط بنيويا بالمساس بالأمة لأن ربحا واحد ونبيها واحد وكتابها واحد، ولما توفى النبي ترك القرآن، لذلك فالحوض في القرآن على سبيل الشبهة والتنقيب في مشكلاته كان يفهم منه تكدير لوحدة الأمة وشغب على اجتماعها، ولذلك . ربما . أذيع الحديث عن عصمة الجماعة ونصه: "سألت ربي عز وجل أربعاً فأعطاني ثلاثاً ومنعني واحدة: سألت الله عز وجل أن لا يجمع أمتي على ضلالة فأعطانيها، وسألت الله عز وجل أن لا يظهر عليهم عدوا من غيرهم، فأعطانيها. وسألت الله عز وجل أن لا يهلكهم بالسنين كما أهلك الأمم قبلهم فأعطانيها، وسألت الله عز وجل أن لا يلبسهم شيعة ويذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها³⁰. وفي رواية أخرى: إذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم فإنه لا تجتمع أمتي على ضلالة³¹. {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [الأنعام: 159] { وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (31) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ } [الروم: 31، 32] { قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ } [الأنعام: 65]

لقد امتن الله منذ البداية على المؤمنين بأن جمعهم وأحياءهم وأنقذهم من الفرقة والعداوة الموت الروحي ومن النار كما جاء في الآيات، وخاطب النبي قائلا: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران:

[159]، {هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (62) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال: 62، 63]. فجعل اجتماع الناس نعمة وافتراقهم نقمة. لذلك كان عمر شديدا في مراقبة ما يخاف أن يكون مرجعية أخرى تنافس القرآن؛ فقد روي أن رجلا أتاه فقال: يا أمير المؤمنين، إنا لما فتحنا المدائن أصبنا كتاباً فيه كلام معجب، قال: أمن كتاب الله، قال: لا. فدعا بالدرة فجعل يضربه بها وجعل يقرأ: {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}، إلى قوله تعالى: {وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِلِينَ} [يوسف: 1-3]، ثم قال: إنما هلك من كان قبلكم أنهم أقبلوا على كتب علمائهم، وأسأفتهم، وتركوا التوراة والإنجيل، حتى درسوا وذهب ما فيهما من العلم³². وقد روي في هذا الصدد أيضاً أنه بلغه أن رجلاً كتب كتاب دانيال فلما قدم عليه جعل عمر يضرب بطن كفه بيده، ويقول: {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ} [يوسف 1-3]، فقال عمر: أقصص أحسن من كتاب الله، فقال: يا أمير المؤمنين، أعفني، فوالله لأحونه. كما جاء عن أسلم قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: فيم الرّملان الآن والكشف عن المناكب، وقد أطأ الله الإسلام، ونفى الكفر وأهله، ومع ذلك لا ندع شيئاً كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وجاء في رواية أخرى عن المعرور بن سويد، قال خرجنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجها، قال: فقرأ بنا في الفجر: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ}، [الفيل: 1]، و{لَا يَلَا فِ قُرَيْشٍ} [قريش: 1]، فلما انصرف، رأى الناس مسجداً فبادروه، فقال: ما هذا، فقالوا: هذا مسجد صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم، اتخذوا آثار أنبيائهم بيعاً. من عرضت له فيه صلاة فليصل، ومن لم تعرض له صلاة فليمض³³.

خاتمة:

رغم ندرة النصوص التي تناولت واقعة صبيغ مع الخليفة عمر في مصادرنا المتاحة وبقاء القصة غامضة الى حد ما الا أن ما توفر لدينا من إشارات وبعضاً من المعلومات التي تضمنتها الروايات تكشف عن بواكير الجدل الاجتماعي الذي انفجر على عهد عثمان وقاد إلى مقتله. وهو جدل ظهر نتيجة للفوارق في المخصصات المالية التي نجمت عن سياسة توزيع العطاء التي سنّها الخليفة عمر وجرى فيها على سنة التراتب والتفضيل بدلا من المساواة، واعتبر فيها الأسبقية والأقدمية ومدى المساهمة في نجاح حركة الفتوح ولم يساوي بين المتقدمين والمتأخرين. وهي الخطة التي لم تعجب الجماعات التي التحقت بالجيوش متأخرة وقاتما شرف المعارك الحاسمة مثل القادسية واليرموك فخسرت شرف الذكر واضطرت الى الرضا بالسياسة المالية التفضيلية على مضض وعلى أمل التعويض في الفتوح القادمة. لكن هذا الامتناع تحول الى حركة احتجاج حقيقية في عهد الخليفة الثالث عندما توقفت حركة الفتح لأسباب موضوعية وانغلق في وجه هذه الجماعات الامل بالتعويض.

كان صعود قبيلة قريش التاريخي بعد انتصارها في حروب الردة ثم مبادرتها بالاندفاع خارج المدينة وقادت نجاح العرب المسلمين في حركة الفتوح، كان سببا في ظهور حالة من التذمر والاعتراض التي أعلنتها مجموعة من القبائل التي عرفت بقوتها وبأسها في الجاهلية والإسلام مثل قبيلة تميم وبعضاً من القبائل اليمنية التي عرفت بتفوقها الحضاري طيلة التاريخ القديم. هذه القبائل رفضت أن تخضع لسلطة قريش وطالبت بالمشاركة الفعلية في تدبير الأمور، ولما كانت رسالة الإسلام هي التي منحت العرب ذلك العز وكان القرآن مصدرها ومرجعيتها فان الجدل في القرآن كما ظهر بصورته البدائية البسيطة في قصة صبيغ كان سبيلا منطقيا للاعتراض الذي سيزداد وضوحا وحدة بتوالي الزمن والظروف.

فيما يخص شخصية صبيغ وحكايته لا تستقي أهميتها من حقيقتها أو الشك فيها وإنما في ما اختزنه من إشارات وعلامات مثلت صدى بعيدا يقص بصورة موجزة وملتبسة الدوافع الحقيقية التي دفعت جماعة المؤمنين إلى أن تنقسم إلى جماعات بعد أن وحدتها معارك الفتوح ولم يكن انقسامها الا بسبب من الفتوح نفسها وعوائدها وكل ما نتج عنها وراحت كل جماعة منها تحتكم الى القرآن وتستخدمه في الآن ذاته في تعزيز موقفها وشرعنته.

الهوامش:

¹ أحمد بن حنبل، مسند الامام أحمد، ت شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000م، ج 36، ص493. عبد الله محمد بن يزيد القزويني سنن ابن ماجه، ت محمد فؤاد عبد الباقي، د ط، دار احياء الكتب العربية. فيصل عيسى البابي الحلبي، ج1، ص19. محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى الترمذي، الجامع الكبير، سنن الترمذي، ت بشار عواد معروف، د ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ج5، ص232.

² جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط3 دار صادر، بيروت، 1414هـ، ج11، ص103. 106.

³ أحمد بن حنبل، المسند، المصدر السابق، ج36، ص493. ابن ماجه، المصدر السابق، ج1، ص19. الترمذي، المصدر السابق، ج5، ص232. قال مالك: الجدل في الدين ينشئ المراء، ويذهب بنور العلم من القلب ويقسي، ويورث الضغن. قال مالك: وليس هذا الجدل من الدين بشيء. وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل، والدين قد فرغ منه، وليس بأمر يتوقف النظر فيه. قال عمر بن عبد العزيز لست بمبتدع ولكي متبع. مالك بن أنس، موطأ مالك ت محمد مصطفى الأعظمي، ط1، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية -أبو ظبي -الإمارات، 2007م، ج1، ص254.

⁴ أبو داود، المصدر السابق، ج4، ص253.

⁵ أبو بكر بن ابي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ت كمال يوسف الحوت، ط1، 1409هـ المصدر السابق، ج6، ص142.

⁶ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، د ط، مكتبة الثقافة الدينية، د ت، ص195. 196. أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماکولا، الإكمال في رفع الازتياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م، ج6، ص206. أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر

العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ت عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، ج3، ص370.

⁷ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تلقيح فهوم أهل الأثر، ط1، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1997م، ص477.

⁸ ابن دريد الأزدی، تعليق من أمالي ابن دريد، ت مصطفى السنوسي، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، 1984م، ص228.

⁹ إسماعيل بن محمد الأصبهاني، سير السلف الصالحين، د ط، تكرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، د ت، ص137. أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر، تاريخ دمشق، المصدر السابق، ج 23، ص 410.

¹⁰ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ت عمرو بن غرامة العمروي، د ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995م، ج23، ص409.

¹¹ ابن عساكر، المصدر نفسه، ج23، ص411.

¹² ابن عساكر، المصدر نفسه، ج23، ص411.

¹³ ابن عساكر، المصدر نفسه، ج 23، ص408.

¹⁴ أحمد بن حنبل، المسند، المصدر السابق، ج21، ص51.

¹⁵ ابن أبي عاصم، السنة، ت ناصر الدين الألباني، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1400هـ، ج 2، ص457.

¹⁶ البخاري، الجامع الصحيح، المصدر السابق، ج 4، ص200. مسلم بن الحجاج القشيري، المصدر السابق، ج2، ص744. ابن أبي عاصم، المصدر السابق، ج 2، ص450. عبد الرزاق الصنعاني، المصنف، ت حبيب الرحمن الأعظمي، ط2، المجلس العلمي، الهند، 1403هـ، ج10، ص146.

¹⁷ أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ت شعيب الأرنؤوط، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988م، ج3، ص5.

¹⁸ أبو الفرج بن الجوزي، **صفة الصفوة**، ت أحمد بن علي، د ط، دار الحديث، القاهرة، 2000م، ج 1، ص 300. ابن سعد الطبقات، المصدر السابق، ج 1، ص 20. أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، **فضائل الصحابة**، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ، ص 20. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، د ط، دار الحديث، القاهرة، 2006، ج 2، ص 233.

¹⁹ أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج 7، ص 120. 121.

²⁰ ابن أبي شيبة، المصدر السابق، ج 3، ص 336. أحمد بن حنبل، المسند، المصدر السابق، ج 17، ص 170. سنوضع للحديث تمات تبدو فيها الآثار التاريخية للصراع السني. الشيعي. ففي بعضها تأتي السنة مقرونة مع الكتاب، وفي بعضها الآخر عترة النبي مقرونة مع القرآن. عن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس في حجة الوداع، فقال: قد ينس الشيطان بأن يعيد بأرضكم ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم، فاحذروا يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله، **النيسابوري المستدرک علی الصحیحین**، ت مصطفى عبد القادر عطا، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م، ج 1، ص 171.

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي، الثقلين، وأحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإني لئن يفترقا حتى يرثي علي الحوض. أحمد بن حنبل، المسند، المصدر السابق، بيروت، 2001م، ج 18، ص 114.

²¹ أبو بكر البيهقي، **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ، ج 2، ص 199. أبو نعيم الأصبهاني، **دلائل النبوة**، ت محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، ط 2، دار النفائس، بيروت، 1986م، ج 1، ص 232. محمد بن يوسف الصالح الشامي، **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، ت عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، ج 2، ص 355.

²² عرف عن ابن مسعود تبخره في العلم وسعة معرفته بالقرآن: فَقَالَ: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يعرض عليه القرآن في كل رمضان مرة إلا العام الذي قبض فيه فإنه عرض عليه مرتين. فحضره عبد الله بن مسعود فشهد ما نسخ منه وما بدل.. عن مسروق قال: قال عبد الله ما أنزلت سورة إلا وأنا أعلم فيما نزلت. ولو أعلم أن أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل أو المطايا لأتيته. وقال أبو موسى الأشعري فيه: لا تسألوني ما دام هذا الخبر فيكم. يعني ابن مسعود. ابن سعد، الطبقات الكبرى، المصدر السابق، ج 2، ص 260. 261.

²³ ابن سعد الطبقات الكبرى، المصدر نفسه، ج 3، ص 116.

- ²⁴ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، ت أبي الأشبال الزهيري، ط1، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1994م، ج2، ص998.
- ²⁵ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ت عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، المصدر السابق، ج1، ص69.
- ²⁶ ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ت أبي الأشبال الزهيري، ط1، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1994م، ج2، ص1003.
- ²⁷ ابن عبد البر، المصدر نفسه، ج2، ص1008.
- ²⁸ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ط2، دار التراث، بيروت، 1387 هـ، ج4، ص212.
- ²⁹ أبو العباس، محب الدين الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة، ط2، دار الكتب العلمية، د ت، ج3، ص96.
- ³⁰ أحمد بن حنبل، المسند، المصدر السابق، ج45، ص200.
- ³¹ أبو بشر محمد بن أحمد الأنصاري الدولابي، الكنى والأسماء، ت أبو فتيبة نظر محمد الفارياي، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2000م، ج2، ص515.
- ³² جمال الدين، ابن المبرد الحنبلي، محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ت عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، ط1، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 2000م، ج2، ص530.
- ³³ ابن المبرد الحنبلي، محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ت عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، ط1، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 2000م، ج2، ص ص 530 . 532.